



تطور التنظيم على المستويين العسكري والميداني يتجسد في رغبة السيطرة على الساحل الأفريقي

داعش يسعى للزعامة في أفريقيا بالهيمنة على الساحل والصحراء

التحولات الحالية تحبط حكومات راهنت على التفاوض مع تنظيمات موالية للقاعدة

ربط قائد داعش في الصحراء الكبرى أبو الوليد الصراوي الآن بين مواجهته لعدوين رئيسيين: الأول القوات الفرنسية والأجنبية حيث اشتهر بأنه عدو فرنسا الأول، علاوة على تنظيم القاعدة الذي عده مؤخرًا في مقدمة أهدافه، وهو ما وضع مؤخرًا في مقدمة أهداف القوات الفرنسية الأمامية ومستويات المواجهات التي قادها ضد القاعدة بداية من ديسمبر العام الماضي والتي سقط فيها المئات من القتلى والجرحى من الطرفين.

وغازل داعش المشاعر الأكثر تطرفًا حيال القوات الأجنبية بغرض اختراق صفوف القاعدة واستقطاب عناصره، ففي حين تركزت دعايته الموجهة على التعبئة في سبيل استهداف القوات الفرنسية باعتباره جهادًا لا شبيهة فيه ضد "الغزاة الصليبيين"، يروج في الوقت نفسه لضرورة قتال القاعدة نظرًا لتعاونها مع القوات الأجنبية الغازية.

تهديد وإحباط

ما ظنّه البعض خلال عام 2012 مجرد تمرد محلي محدود بشمال مالي اتضح خلال أقل من عقد أنه مخطط متطور استلمته داعش من القاعدة للتوسع والتصدد بطول منطقة الساحل الأفريقي وعرضها من شمال مالي إلى وسطها وشرقًا إلى النيجر وجنوبًا إلى بوركينا فاسو، ما يعني تحول المنطقة بأسرها إلى ميدان معركة بين القاعدة وداعش، بالتوازي مع معركة المتطرفين المسلمين في مواجهة الغرب.

تحبط هذه التحولات عزيمة وخطط الحكومات المحلية التي وضعت رهاناتها في سلة التفاوض مع التنظيمات الموالية للقاعدة أملاً في وضع نهاية للإرهاب وفي تحييد المجموعات المتطرفة لتوجيه جهود الحكومات وأجهزتها للقاتل بعيد وقبوله الانخراط في معاهدات صلح مع الحكومات المحلية.

يمكن هذا التطور داعش من الإيحاء بأنه بصدد تحقيق مشروعه الأيديولوجي العابر للحدود الذي فشل في المعامل الرئيسية التي ظهر فيها، مبرهاً على ذلك بقنوات الاتصال التي شقها بين منطقتي الساحل والصحراء وغرب أفريقيا. وهي الرواية التي ستزداد رسوخاً في حال انتقلت الفصائل الداعشية من ليبيا إلى منطقة الساحل والصحراء، بعد تسوية الأزمة وبناء المؤسسات الليبية وبعد بسط الجيش هيمنته على كامل التراب الليبي والقضاء على الحالة الميليشياوية الراجحة.

يتطلع تنظيم داعش إلى استقطاب العديد من المقاتلين والعناصر المنضوية تحت لواء جماعة نصرة الإسلام والمسلمين التي تشكلت نتيجة الاندماج مع القاعدة بمنطقة الساحل وتضم قرابة الألفي عضو، خاصة بعد فقدان القاعدة لأهم قادتها المؤثرين، وعدم مقدرة قادته الحاليين على احتواء تطلعات منافسيه وإيقاف نزيف الخلافات والانشقاقات داخله.

في الوقت الذي يتمتع فيه داعش بترابط تنظيمي وقيادة يقبضون بإحكام على مقاليدته مثل القيادي المخضرم أبو الوليد الصراوي، يعاني القاعدة من نزاعات بين قادة تحالف نصرة الإسلام والمسلمين، خاصة بعد مقتل عبد الملك دروكدال "بومصعب عبد الوذود" في يونيو العام الماضي، حيث يرى كل من دروكدال أبو عبدة يوسف الغنابي لا يعكس موازين القوى على الأرض وداخل التنظيم.

وقابل تطور داعش السريع على المستوى التنظيمي والقيادي تراجع كبير للقاعدة نتيجة التناحر العرقي والتنافس بين القيادات العربية والأفريقية داخله وفقدان القدرة على الربط بين خلاياه. وبعد أن كان هدف داعش في الساحل والصحراء هو إنبات الوجود أمام القاعدة ما جعله يراوح بين فترات طغت خلالها الرغبة في التنسيق وتقاوم مناطق النفوذ ومناطق تنفيذ العمليات وأخرى دافع خلالها داعش عن نفسه ضد محاولات القاعدة السيطرة بشكل كامل على تلك المنطقة، صار فرغ تنظيم الدولة في الساحل والصحراء مؤخرًا يبادل القاعدة خطته الهادفة للإزاحة الكاملة للأخير لاحتلال مناطقه والاستيلاء على موارده.

القاعدة ونفوذها بعدما حققه في نيجيريا عن محور الصراع الرئيسي بينهما وهو الاستحواذ على مصادر التمويل، حيث تتمتع هذه المناطق بداية من السنغال وموريتانيا على ساحل المحيط الأطلسي عبر مالي والنيجر وتشاد إلى السودان وإريتريا على البحر الأحمر والصحراء بأهمية إستراتيجية نظراً لموقعها المتميز ولامتلاكها احتياطات هائلة من الثروات الطبيعية والمصادر الحيوية.

اضطراب سياسي

توفر التنظيمات المسلحة لنفسها بهذه المناطق أكثر من مصدر لتمويل أنشطتها وعملياتها، لاسيما عبر اختطاف الرهائن وفرض الضرائب والاتاوات فضلاً عن تهريب البشر. يستغل داعش موجات الاضطراب السياسي المتتالية بدول الساحل الأفريقي ويجدها فرصة لتحقيق طموحاته وأهدافه بالنظر للانقلاب الذي تكرر في مالي عدة مرات والحرب الدائرة في تشاد والتي أدت إلى مقتل الرئيس التشادي مؤخرًا، وهما دولتان لعبتا أدوارًا مهمة في مكافحة الإرهاب وكبح تمدد داعش في غرب ووسط أفريقيا.

انشغال العسكريين بالسلطة في مالي وانشغالهم في تشاد يقمع المتطرفين المحليين من جبهة التغيير والوفاق وغيرهم، فضلاً عن العقبات المتزايدة التي تواجهها جهود فرنسا والأطراف الغربية في سياق حملة مكافحة الإرهاب بدول الساحل الخمس، جميعها متغيرات تعكس آمال داعش في تصعيد هجماته ليس فقط ضد القوات الغربية والقوات المحلية، إنما أيضاً ضد معسكرات القاعدة، في سياق مساعي الحصول على الأسلحة الدولية وكسب المزيد من النفوذ والأراضي.

على المستوى العسكري والميداني عبر كوارث تمتلك خبرات عملية متقدمة بمن فيهم أبو الوليد الصراوي، أو على مستوى الانتشار المجتمعي من خلال سياسات تحرص على كسب ولاء قطاعات محلية واسعة.

بذات الأرضية مهية مؤخرًا لصراع موسع لحسم الهيمنة الجهادية في الساحل والصحراء بعد حسمها نسبيًا في شمال نيجيريا، بالنظر إلى مستويات العمليات على الأرض وإعدادها، حيث شن داعش أكثر من ستين هجومًا خلال العامين الماضيين والحالي ضد تمركزات القاعدة في أفريقيا الغربية بمنطقة الساحل.

داعش الذي يضم الكثير من الأعضاء السابقين في تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي من ذوي المهارات القتالية العالية والذين مثل تحولهم إلى داعش عام 2014 ضربة معنوية قوية للقاعدة في هذا التوقيت، لا يغفل الآن الأهمية هز ثقة عناصر القاعدة عبر شن حرب دعائية موجهة تقودها صحيفة النبا المعبرة عن التنظيم والتي وصفت في عددها الأخير مقاتلي القاعدة في مالي وبوركينا فاسو بالمخالفين والمرتبين.

يتوخى داعش في الساحل والصحراء استخدام تكتيكات نظيره في غرب أفريقيا التي أوصلت لانضمام مقاتلي بوكو حرام إلى المنتصرين وللسيطرة على مخزون البوبكر شنيكاو من الأسلحة والأموال، علاوة على ما تحقق على المستوى الاستراتيجي المتمثل في الاستيلاء على أراضي بوكو حرام في شمال شرق نيجيريا، وهو ما يطمح داعش لتحقيقه في إقليم أكثر أهمية يضم نقاطًا ساخنة من شمال ووسط مالي إلى الحدود الليبية.

يُعبّر اتجاه داعش للتوسع في الساحل والصحراء على حساب مناطق

يسعى داعش لبسط هيمنته على منطقة الساحل الأفريقي بهدف إقامة دولته البديلة المزعومة عوضاً عن تلك التي تهاوت في سوريا والعراق، بما ينبئ بأن مواجهات ستشتعل قريباً بينه وبين غريمه تحالف نصرة الإسلام والمسلمين الموالي للقاعدة. ويراهن التنظيم على ما حققه من تطور على المستويين العسكري والميداني عبر كوارث تمتلك خبرات عملية متطورة.

بتطوير نفوذ فرعه القوي في الصحراء الكبرى بمنطقة الحدود المشتركة بين مالي والنيجر وبوركينا فاسو وبسط الهيمنة الجهادية على الساحل الأفريقي الممتد على طول خمسة آلاف كيلومتر أسفل الصحراء الكبرى ويشمل المسافة من المحيط الأطلنطي إلى البحر الأحمر.

استنساخ التوسع

يعني مخطط استنساخ توسع داعش في نيجيريا وغرب أفريقيا بمنطقة الساحل والصحراء أن هناك مواجهات سوف تشتعل قريباً بين داعش وتحالف نصرة الإسلام والمسلمين الموالي للقاعدة بقيادة إيساد غالي خاصة أن هناك مفاوضات جارية بين الطرفين منذ ما يزيد عن العام ونصف العام بعد فترة طويلة من التعايش بينهما.

الثقة التي دبت في أوصال داعش بعد إنجازها النوعي على حساب بوكو حرام في نيجيريا بجانب حالة التفكك الداخلي التي ضربت جماعة أنصار الإسلام وأدت إلى تراجع أنشطتها، علاوة على الظروف المواتية المتعلقة بالاضطرابات السياسية داخل دول مهمة، كلها لعبت دوراً حيوياً في مكافحة الإرهاب مثل تشاد ومالي، ما يزين في عين داعش المبادرة لاقتناص الفرصة لبسط هيمنته بمنطقة الساحل الأفريقي بهدف إقامة دولته البديلة المزعومة عوضاً عن تلك التي تهاوت في سوريا والعراق.

وتضمن المؤشرات القادمة من منطقة الساحل والصحراء تحقيق داعش لنسبة عالية من النجاح بشأن مسعاه لتعميم ما أنجزه في شمال شرق نيجيريا؛ حيث اعتدى الضعف جماعة أنصار الإسلام والانشقاقات عنها الكثيرون ممن فضلوا الانضمام لتنظيم الدولة في الصحراء الكبرى.

عدل هذا التحول موازين القوى بين داعش الذي كسب أرضية ومناصبين من جهة وتحالف نصرة الإسلام والمسلمين بجانب جبهة تحرير ماسينا من جهة أخرى، والأخيرة تحديداً كان موكولا لها ولقائدها أمادو كوفيا من قبل قيادات القاعدة لإنهاء نفوذ داعش أو أقله تقليصه بمنطقة الساحل الأفريقي.

على الرغم من قوة تحالف نصرة الإسلام والمسلمين بالساحل والصحراء الذي يُعد المظلة الكبرى للقاعدة بالمنطقة ويضم إمارة القاعدة في المغرب الإسلامي وجماعة أنصار الدين بقيادة إيساد غالي وجماعة المرابطون وجبهة تحرير ماسينا، إلا أن داعش يراهن على ما حققه من تطور

هشام النجار
كاتب مصري

شعر تنظيم داعش للمرة الأولى خلال الأيام الماضية أنه بإمكانه تحقيق زعامته الجهادية في أفريقيا بعد منافسة ممتدة ومحتملة مع غريمه تنظيم القاعدة في ظل الأزمات المتعددة التي تضرب بعض دول القارة.

صار للفكرة ما يبررها خاصة بعد النجاح اللات الذي حققه داعش عبر فرعه في غرب أفريقيا ليس فقط في ما يتعلق بعملية قتل زعيم بوكو حرام الشرس أبو بكر شنيكاو الذي لم تتمكن منه القوات النيجيرية لما يزيد عن عشرة أعوام من المواجهة، إنما الأهم هو انتقال سرايا داعش من قواعدهم إلى الشرق حول بحيرة تشاد، حيث تتمركز حالياً داخل أحراش غابة سامبيسا الشاسعة.

قادة داعش يتطلعون إلى إنهاء تفوق القاعدة بمنطقة الساحل ولوجها من بابها الواسع وإحكام السيطرة عليها

بات هدف داعش القديم منذ حط رحاله داخل أفريقيا في متناوله للمرة الأولى، وهو الربط بين مناطق نفوذه وإحكام سيطرته على جغرافيا شاسعة متصلة تتمتع بأهمية إستراتيجية واقتصادية قصوى تتمثل في منطقة الساحل الأفريقي، مع وجود مناطق حدود طويلة مشتركة بين كل من نيجيريا وتشاد ومالي وليبيا، علاوة على بوركينا فاسو. قياساً على ما حدث في نيجيريا يتطلع

قادة داعش إلى إنهاء تفوق القاعدة الذي امتد لسنوات بمنطقة الساحل ولوجها من بابها الواسع وإحكام السيطرة عليها، وقد أثبتت المواجهة الأخيرة مع مجموعة أبو بكر شنيكاو التفوق النوعي لداعش في القتال، فضلاً عن تمكن من اختراق بوكو حرام واستقطاب عناصر مهمة داخلها وضماها إلى صفوفه.

من شأن هذا التطور أن يُنظر إليه باعتباره تحولاً في ميزان القوى بين التنظيمين، بالنظر إلى ما يمكن أن يُحدثه من تغييرات في خارطة التنظيمات المتطرفة المسلحة في كافة أنحاء القارة. تاتي أهمية هذا التحول إذا تم وضعه في إطار خطط داعش الكبرى المتعلقة



منطقة الساحل الأفريقي هدف داعش المرتقب